

مطربة من جيل العمالقة سحرت العرب بصوتها

السيدة نعمة

آخر حبة في عنقود الزمن التونسي الجميل



السيدة نعمة لم تتوقف، في جميع إطلالاتها الإعلامية، عن التحسر على فترة حكم الرئيس الراحل بورقيبة، واصفة إياه "بالرئيس الذي أهمل الذي يلحق بالفنانين التونسيين الكبار من قبل الإعلام الوطني، طال حتى رموز الأغنية التونسية على غرار عليّة وعلی الرباحي، وكان أهل البلد يفرطون في كنوزهم حتى يرحلوا.



السيدة نعمة لم تتوقف، في جميع إطلالاتها الإعلامية، عن التحسر على فترة حكم الرئيس الراحل بورقيبة، واصفة إياه "بالرئيس الذي أهمل الذي يلحق بالفنانين التونسيين الكبار من قبل الإعلام الوطني، طال حتى رموز الأغنية التونسية على غرار عليّة وعلی الرباحي، وكان أهل البلد يفرطون في كنوزهم حتى يرحلوا.



موجة الانتقادات اللاذعة التي رافقت انتفاضة 14 يناير 2011 لمغنين تونسيين بسبب علاقاتهم مع نظام الرئيس الراحل زين العابدين بن علي وكذلك بورقيبة، لم تؤثر على مكانة نعمة التي كانت دائما تشدد على أنها لم تغن للأظمة بل للشعب التونسي وبلادها

كانت تحظى، إلى جانب الفنانين التونسيين، باهتمام كبير في عهد، مشيرة إلى منعها من السفر في فترة حكمه قائلة "كنت أحظى بحب واهتمام كبيرين من وزير الثقافة الأسبق الشاذلي منعتني من السفر بدافع الخوف عليّ. أذكر أنه قال لي: أنت ملك لتونس".

وأضافت "أما الثاني فقد خصص لي مساحة إذاعية على المباشر، في كل سهرة خميس لبث أغاني، حتى يتشبع الجمهور بالفن التونسي ويكون على دراية بالإنجازات التونسية.. أرجو أن تتكرر مثل هذه المبادرات لفائدة جمهورنا وينابيع أغانيها ولا يضطر إلى توريد كلمات أغاني الفنانين الأجانب فقط في المهرجانات الصيفية".

وبالرغم من موجة الانتقادات اللاذعة التي رافقت انتفاضة 14 يناير 2011 لمغنين تونسيين بسبب علاقاتهم مع نظام الرئيس الراحل زين العابدين بن علي وكذلك بورقيبة غير أن نعمة كانت دائما تشدد على أنها لم تغن للأظمة بل للشعب التونسي وبلادها.

وقالت في حوار آخر مع صحيفة الصباح المحلية "غنت لتونس وشعبها ولم أغن للأظمة.. غنت في مهرجان قرطاج والحمامات وغيرها ولم أتقاض أموالا كما أنباء جيلي لأننا كنا نؤمن بأن المألوف منا هو الارتقاء بأغنيتنا، وفي المقابل كنا نكتفي بما يؤمن لنا حياة كريمة فحسب". شكت نعمة مرارا من الإهمال الذي لحقها من قبل الإعلام الوطني، وهو إهمال طال حتى رموز الأغنية التونسية على

غرار عليّة وعلی الرباحي، وكان أهل البلد يفرطون في كنوزهم حتى تتساقط حبات تلك الكنوز الواحدة إثر الأخرى.

المناسبات. وقالت آنذاك أيضا "كان الملحن الشاذلي أنور يرى في بورقيبة مثالا له فغنت له في فترة 1961 و1962: يا حبيب تونس، ثم: فرحنا بميلادك يا زعيم الخضراء، في عيد ميلاده الذي يصادف 3 أوت". وفي جل الإطلاقات الإعلامية أو الحوارات الصحافية التي أجرتها، كانت نعمة تتحسر على فترة حكم الرئيس بورقيبة واصفة إياه "بالرئيس الذي يقدر قيمة الفنانين التونسيين"، مشيرة إلى أن هؤلاء تركوا جانبنا بعد رحيله حيث أصبحت السلطات تبجل الفنانين الأجانب أكثر. ووصلت علاقة نعمة ببورقيبة، الذي كان يولي مكانة هامة للفن، إلى حد تقديمها أناشيد وقصائد لـ "المجاهد الأكبر"، أبرزها تلك التي قدمتها له بعد جولته العربية وزيارته لأريحا حيث توجهت نعمة لبورقيبة بالقول "أتم في

علا فحسادوك حطام". وكانت نعمة تقول "لقد كان بورقيبة يحبني كثيرا ويحب كل الفنانين التونسيين، معنوياتنا ترفع بوجوده، فقد كان يلما بالفن والفنانين" في إشارة إلى تشجيع الرئيس الحبيب بورقيبة للفن والفنانين. ظلت نعمة وفيه لبورقيبة وما أنجزه حيث وجهت إلى الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي عند توليه السلطة رسالة تدعو فيها إلى "الحفاظ على الأمانة التي تركها بورقيبة" في إشارة إلى تونس، وقالت في حوار مع صحيفة "الشارع المغربي" المحلية إنها

ان يتعلمن من نعمة هذه الخصائص لأن الغناء ليس مجرد غنوية في الصوت وإنما غنوية الصوت لا بد لها من إطار فأخر كإطار نعمة حيث يتلأل منها الأداء الحي".

نعمة ببورقيبة

ومع سطوع نجمها على الساحة العربية أقامت نعمة علاقات متينة مع كوكب الشرق أم كلثوم وفيروز والعندليب الأسمر عبد الحليم الحافظ وسيد مكايي الذي بدوره لحن لها الكثير من الأغاني، إلى جانب حسن عريبي من ليبيا وغيرهم من كبار الموسيقيين العرب والتونسيين. "كنا في كل مناسبة نسهر على اللحن والإداء والكلمة" بهذه الكلمات وبينترة من الحسرة تحدثت نعمة ذات مرة للتلفزيون الرسمي التونسي، وذلك في معرض ردها على علاقتها بالزعيم الراحل الحبيب بورقيبة الذي أسال افتتاحه بفنائه تونس

الذي بدوره لحن لها الكثير من الأغاني، إلى جانب حسن عريبي من ليبيا وغيرهم من كبار الموسيقيين العرب والتونسيين. "كنا في كل مناسبة نسهر على اللحن والإداء والكلمة" بهذه الكلمات وبينترة من الحسرة تحدثت نعمة ذات مرة للتلفزيون الرسمي التونسي، وذلك في معرض ردها على علاقتها بالزعيم الراحل الحبيب بورقيبة الذي أسال افتتاحه بفنائه تونس

الذي بدوره لحن لها الكثير من الأغاني، إلى جانب حسن عريبي من ليبيا وغيرهم من كبار الموسيقيين العرب والتونسيين. "كنا في كل مناسبة نسهر على اللحن والإداء والكلمة" بهذه الكلمات وبينترة من الحسرة تحدثت نعمة ذات مرة للتلفزيون الرسمي التونسي، وذلك في معرض ردها على علاقتها بالزعيم الراحل الحبيب بورقيبة الذي أسال افتتاحه بفنائه تونس

الذي بدوره لحن لها الكثير من الأغاني، إلى جانب حسن عريبي من ليبيا وغيرهم من كبار الموسيقيين العرب والتونسيين. "كنا في كل مناسبة نسهر على اللحن والإداء والكلمة" بهذه الكلمات وبينترة من الحسرة تحدثت نعمة ذات مرة للتلفزيون الرسمي التونسي، وذلك في معرض ردها على علاقتها بالزعيم الراحل الحبيب بورقيبة الذي أسال افتتاحه بفنائه تونس

الذي بدوره لحن لها الكثير من الأغاني، إلى جانب حسن عريبي من ليبيا وغيرهم من كبار الموسيقيين العرب والتونسيين. "كنا في كل مناسبة نسهر على اللحن والإداء والكلمة" بهذه الكلمات وبينترة من الحسرة تحدثت نعمة ذات مرة للتلفزيون الرسمي التونسي، وذلك في معرض ردها على علاقتها بالزعيم الراحل الحبيب بورقيبة الذي أسال افتتاحه بفنائه تونس

الذي بدوره لحن لها الكثير من الأغاني، إلى جانب حسن عريبي من ليبيا وغيرهم من كبار الموسيقيين العرب والتونسيين. "كنا في كل مناسبة نسهر على اللحن والإداء والكلمة" بهذه الكلمات وبينترة من الحسرة تحدثت نعمة ذات مرة للتلفزيون الرسمي التونسي، وذلك في معرض ردها على علاقتها بالزعيم الراحل الحبيب بورقيبة الذي أسال افتتاحه بفنائه تونس

خيرية لفائدة جمعية المكفوفين. تلك الحفلة كانت فرصة لنعمة لتبرز مع قامات أخرى على غرار عليّة، وكانت الانطلاقة لبقاء اسمها محفوظا ومحفوظا في ذاكرة التونسيين لما قدمته للفن التونسي، حيث كانت تلقب بـ "المطربة الأولى" في فترة العصر التي كان يقودها آنذاك الفنان حسن الغربي الذي يعدّ من أكبر رواد عزّفي القانون في تونس.

بعد تلك الشهرة التي غنت فيها نعمة أغنية "حبيبي لعبتو"، وهي أغنية اطرقت الجمهور، كانت على موعد مع دخول المعهد الرشدي، فانضمت إلى فرقته التي تأسست في ثلاثينات القرن الماضي، وأصبحت نعمة في ما بعد إحدى أبرز مطرباتها.

هناك أيضا لقبها الملحن صالح المهدي بنعمة، ولحن لها العديد من الأغاني العاطفية على غرار "الليل أه يا ليل" و"يا ناس ما أكسح قلبه" وغيرهما من الأغاني التي جعلت في ما بعد اسم نعمة يرتبط باسم المهدي. لحن لها أيضا خميس ترنان العديد من الأغاني، من بينها "ما أحلاها كلمة في فمي" و"وشرع الحب" وغيرهما. خاصة وأن الإذاعة التونسية الرسمية آنذاك كانت تبث أغاني الفرقة الرشيدية.

سفيرة تونس

أهلها نجاحها لتصبح الفنانة الأولى المطلوبة شعبيا، فأقامت العديد من الحفلات في بلادها إلى أن دخلت الإذاعة التونسية كمطربة رسمية وذلك سنة 1958 معثلة من المطربات التونسيات على غرار صليحة وعليّة ونادية حسن، لتترك بذلك قطار الشهرة الذي أوصلها إلى العديد من المحطات العربية والعالمية.

في العام 1966 كانت أول مصافحة بين نعمة وجمهورها العربي وذلك في مهرجان انتخاب ملكة جمال العرب ببورتو، حيث شاركت فيه ضمن وفد الإذاعة. كما حطت الرحال في مهرجان الفية القاهرة عام 1969 حيث أبهرت الجمهور هناك ما جعل الأديب والشاعر صالح جودت يكتب عنها في مجلة الكواكب المصرية، قائلا "الواقع أنني لم أكن أعرف في تونس هذه الثروة الفنية الكبيرة، وهذه الطاقة الضخمة من الألوان الغنائية ولا سيما صوت المطربة العظيمة نعمة التي تتميز فوق غنوية الصوت بالحركة وبالتعبير الثري على قسما الوجه وبالقدرة الفائقة على تحريك الجماهير". وتابع الشاعر المصري "على الكثير من مطربتنا

المرض". رئيس الحكومة التونسية، هشام المشيشي، حضر موكب تابين الراحلة في مدينة الثقافة حيث استحضر "مسيرتها الفنية الخالدة" مضيفا أنها "خاطبت جميع الشرائح العمرية وهي التي غنت كل الألوان الطربية تاركة إرثا فنيا يفوق حدود الوصف". وعُدّ المشيشي خصال نعمة، باعتبارها كانت قريبة جدا من التونسيين من خلال مختلف المناسبات كالأفراح العائلية والمهرجانات وإطلالاتها الإذاعية والتلفزيونية.

ولدت حليلة الشيخ، والتي صار اسمها نعمة، وولدت فعلا من النعم التي حظيت بها تونس، في قرية أمزور قرب مدينة قليبية التابعة لمحافظة نابل شمال شرق البلاد، في العام 1934 حيث نشأت قبل أن تتحول في وقت لاحق إلى فنانة تونس الأولى برصيد فني تجاوز 360 أغنية. ويات من الصعب حصر أعمال نعمة، إذ تقول مصار فنية أن لها حوالي 800 أغنية حتى أنها قالت في إحدى إطلالاتها الإعلامية "لم أعد أدري كم غنت من أغنية. لقد نسيت العديد من الأغاني".

انتقلت إلى العيش في العاصمة، وبالتحديد في نهج الباشا، إثر انفصال والديها، ما جعلها ترافق أمها وخالتها إلى هناك، حيث تم اكتشاف قدراتها الفنية التي خولت لها أن تجوب بعد ذلك أشهر المسارح العربية وحتى الأوروبية.

وبدا صوت نعمة ينتشر بعد اكتشاف قدراتها الفنية وهي في سن الحادية عشرة بعد أن أدت أغنية "صالحة" التي لا تزال ترد على كل لسان اليوم وخاصة من المدعين الذين يشدهم الزمن الجميل الذي برزت فيه نعمة إلى جانب كبار المطربين والمطربات التونسيين والعرب.

وتزوجت نعمة في سن السادسة عشرة، وأنجبت 3 أبناء. وكان أول ظهور لها أمام الجماهير التونسية خلال حفلة

صغير الحيدري صحافي تونسي

غيب الموت، قبل أيام، فنانة تونس الأولى السيدة نعمة عن عمر ناهز الـ 86 عاما وذلك بعد صراع مرير مع المرض لتكون بذلك آخر حبة من عنقود الزمن الجميل، التي ترحل تاركة وراءها أثرا كبيرا يصعب تجاوزه.

ولئن كان هول الفاجعة التي استفاق عليها التونسيون صباح الأحد الماضي كبيرا بوفاة نعمة، فإنها كانت مناسبة التقى فيها التونسيون باختلاف مشاربهم وتوجهاتهم حول الإجماع على قيمة أشهر المطربات التونسيات التي تلالا نجمها في بلادها وعلى الساحة العربية والعالمية.

المطربة الأولى

نعت وزارة الشؤون الثقافية "فقيدة الفن التونسي المطربة القديرة السيدة نعمة التي وافتها الغنية بعد صراع مع



نهج الباشا في العاصمة يفخر بأنه كان المنصة التي انطلقت منها نعمة، إثر انفصال والديها، ما جعلها ترافق أمها وخالتها إلى هناك، وفيه تم اكتشاف قدراتها التي خلقت بها نحو أشهر المسارح العربية وحتى الأوروبية



لقب نعمة بعود الفضل في إطلاقه عليها إلى الملحن صالح المهدي الذي لحن لها العديد من الأغاني العاطفية مثل "الليل أه يا ليل" وغيرها من الأغاني الخالدة.